تتبع السيرة الفنية لحركة الشعر لديه ، بحثا عن مستوى فكره ، وطبيعة معارفه ، وحذور إبداعه ومقومات ابتكاره ، وظواهر تفرده على المستوى الإبداعى فى سياق المدرسة التى ينتمى إليها من جانب ، ومن واقع تميزه الفردى الخاص من جانب آخر .

ويظل الجديد فى منهج الدكتور خليف ـ يحق - معلقا بدقة هذا المرح بين المنهجين ، ويبدو أن حقول دراسته المتعلقة بموروثنا القديم قد أسهمت فى ترشيح هذا التوجه الذى لم يشأ أن يُسَلم فى سياقه بإمكانية انقطاع المبدع عن تجاربه أو عالمه ، بقدر ما آمن به من تلمس صدق هذا المبدع فى تصوير تلك التجارب ، وكشف إيقاعات ذلك العالم الذى يتفاعل معه ، إلى جانب ظهور موروثاته الفكرية ولغته الفردية التى تحكى قصة تفرده وتمايزه بين أقرانه إن كان ثمة ضرورة لتحديد شىء من هذا التمايز ، ومن هنا كانت له نظرته العلمية المحددة قادرة على النفاذ إلى رصد وتفسير خط التطور الفنى للنصوص الشعرية ، ذلك أنه لم يغفل دراسة النص باعتباره بنية لغوية وصيغة جمالية ، بل لعله قصد عن عمد ـ إلى إغفال انقطاع تلك البيئة والصياغة عن معطيات العصر ومقومات الحياة ومصادر الفكر والتجارب .

ومن هنا أيضا تحول البحث لديه إلى مجال رحب ، وإن شئنا التحديد فقد جاءت ـ بهذا الشكل ـ مواقف نقدية وتاريخية متميزة ، واضحة المعالم على مستوى المنهج والأسلوب والصياغة والنتائج بدءا فى ذلك من تنبته بالتوقف عند الصلة بين المبدع وموطن إبداعه وظروف حياته بشكل توثيقى يجعل من النص مرآة تنعكس من خلالها شخصية الشاعر ، وتتكشف همومه الذاتية والجماعية ، وتحكى قصة الحياة من حوله ، وعنده يصبح شعر الشاعر صورة من نفسيته وعصره ومجتمعه وحياته ، متجاوزاً بذلك المنهج النفسى الذى مال إليه أصحابه فى تحليل الدوافع النفسية فى عالم الشعراء من منظور العقدة (١٧) بقدر ما شغله البعد الاجتماعى الذى أسهم ـ بدوره ـ فى كشف جوانب